

## بحثاً عن السلم الكامل

الجزء ٢٣ / ٨ / ٨٩

السلم في لبنان طفل صغير طال انتظاره ١٥ عاماً. نعلم جميعاً انه لن يرى النور الا بعملية قيصرية مخوفة بالخطا. ونعلم ايضاً انه، يوم ياتي، سيطلب من الجميع رعاية، وعطفاً، ووعناً لئلا يصاب باذى، او يعتل بمكروه فننقده ولا يعود.

ولكن منظر اهل الطفل عجيب غريب. فبدلاً من ان يهتوا للامر، ويتهياوا للعون والرعاية، نراهم يختطفون ويتناحرون حول هوية القابلة القانونية المولجة امر الولادة. فمنهم من لا يثق الا بالخالة القريبة، الموجودة في الدار منذ عقد ونيف. ومنهم من يريد من الاقرباء قابلات ثلاث، تعملن معاً، على الرغم من اعلانهن صعوبة القيام بالدور. ومنهم من ينظر الى البعيد بحثاً عن المهارات الدولية، قوية الساعد، واسعة الخبرة، في نيويورك وباريس، وان امكن في واشنطن وموسكو. ويكاد اهل الطفل ينسون ان اهم الامم هو ان يرى الولد النور، وان ينشأ ويقوى ساعده، وذلك من فرط اهتمامهم بالسؤال الذي يهمهم، وهو: من هي القابلة الواجب استدعاؤها؟

وهكذا تنهوى بيزنطة لبنان، واهلها يسألون عن جنسية من يتولى امر الحل. فكل واحد منهم يقيس علاقته بالمولود المحتمل لا على اساس ما سيقدم من حماية ورعاية، بل على اساس علاقته الذاتية بالقابلة. وكل واحد منهم يبدو مستعداً لتأجيل موعد الولادة، بل لنسفها من الاساس، ان لم تستدع القابلة التي يريد. ويسمّون ذلك وطنية، وحرصاً على السلم، وحفاظاً على لبنان!

اما أم الطفل الحقيقية، فلا يهمها اسم الطبيب، ولا عنوان القابلة، انما يهمها المولود. فاللبنانيون، من غير اصحاب السياسة، يريدون السلم اساساً. وخوفهم على المولود من حرص اهله المزعومين، انما هو السلم الذي ينتظرون، ولا يهمهم كثيراً، عن اي طريق اتى، وما هي الاجتماعات والمشاورات، واللجان والمنظمات، والتقارير والبيانات، والتدخلات والانسحابات، والضمانات والاصلاحات، التي اتت به الى قيد الحياة. انهم يريدون السلم، لا غيره.

والسلم الذي يترأى لهم في الافق اليوم من نوعين الاول هو سلم ناقص، سلم وقف القتال ورفع الحصار. ولكن من قاسى ما قاساه اهل بيروت، ومن تعذب عذاب اللبنانيين، بل من اضطر لاضافة اشنع الدمار الرامن الى ذاكرة تختزن ١٥ عاماً كاملة من القهر والخوف والتشرد، له الحق في اكثر من هذا السلم الناقص، وهو قد يرى النور فعلاً، انما بدون حظوظ كبيرة في طول الحياة.

من هنا الاحاح على ان يكون النقيض باباً للنقيض، اي ان يكون دمار اليرم مقدمة لسلام الغد الحقيقي. بكلام آخر، اننا نرى الوقت مناسباً لا لوقف النار ورفع الحصار فحسب بل للتخلي الفعلي عن شعارات الحرب وعن ممارساتها، لقيام حل سياسي متكامل.

فوقف النار اليوم، على حسناته الواضحة، قد يشكل باباً للقبرضة اللامحدودة في الزمن. وقد تنجح الضغوط الدولية في ابقاء الخطوط الحمر على لونها، وقد ينشأ نوع من التوازن الهش على الارض، لا تتخلله الغدائف ولا تزعزعه الراجمات. وقد تشكل بعض القوى البحرية، المدعومة دولياً، رداً على الضغط الممارس على اليابسة.

لكن الخطر هو في توقف الامور عند هذا الحد. فالجباران اصدرنا قراراً عن حرب الخليج لم ينفذ منه الا بند وقف النار، وتناسى الجميع بعدها تلك الحرب، بل لم يسأل احد الامم المتحدة عن اسباب فشل تنفيذ البنود الاخرى في القرار الدولي، ولا عن الاجتماعات الاربعة العقيمة بين ايران والعراق.

ويحاول بعض المشاريع المشبوهة تحقيق نوع من وقف النار في فلسطين، بحيث تتوقف الانتفاضة عملياً عن تحدي الاحتلال ولا تتقدم القضية خطوة نحو الامام.

والتوقف عند وقف النار فحسب في الحالة اللبنانية اخطر بكثير، لان الامر يتعلق بوحدة البلد وبتماسك عناصره. وبقيننا ان فئات كثيرة كانت مرتاحة الى الاحوال كما كانت قبل اذار (مارس) الماضي، وكانت تراهن على استمرارها الصامت، لكي يتكرس غير امر واقم، ولكي تثبت الاعترافات على سيادة الدولة ووحدتها من الداخل ومن الخارج (ان كان فرز الداخل عن الخارج ما زال ممكناً!).

من هنا مخاطر العودة الى الوضع السابق، مثقلاً بمئات القتلى وبيلايين الخسائر. لكن السلم الكامل يكون بتزاوج البحث عن وقف النار، والبدء بتنفيذ الحل السياسي. والحل السياسي يكون، كما رأت اللجنة الثلاثية عن حق، في صفقة متكاملة تتضمن انتخابات وانشابات واصلاحاً... فنتجنب انذاك نشوء حالة تترحم فيها (ويا للكفر!) على النار، بعد وقفها!

غسان سلامة